الثورة
السبت 4 ذو الحجة 1433هـ 20 أكتوبر 2012م العدد (17503)

القيم- الوجود والعدم

د/ غيلان الشرجبي

■ لا بد في مستهل هذا الموضوع من تأكيد حقيقة: أن القيم ليست ألفاظا مجردة فهي مصطلحات ترتبط بمعان حسية وشعارات تترجم على أرض الواقع وكلمات لها حضور ذهني يعطي للالفاظ مفاهيم سلوكية ومن يتابع الخطاب الإعلامي والسياسي الشائع سيلمس حاجة المثقفين قبل عامة الناس إلى إدراك هذه العلاقة الحية بين القيم النظرية ودلالاتها المنظورة وأن نعيد النظر في المفاهيم الدراسية التي تهتم بالمسائل الخلافية أكثر من القضايا التوافقية وأن تتلمس الأبعاد الوطنية التي يفترض أن يستوعبها النشء لبناء شخصية يمنية ترقى إلى مستوى الوعي الكامل بمكونات الهوية الجامعة وتلك اشكالية يعانيها حتى طلبة الجامعات بدليل أنني سألت «عينة عشوائية» منهم عن تعريف «الجمهورية» فقط الجمهورية في بلد نظامه جمهوري منذ نصف قرن من الزمن فصدمت حينما رأيت بعضهم ينظر في وجوه الآخرين بحثا عن جواب لا لبس فيه ولا غموض وينبغي أن تكون الاجابة عليه إحدى ابجديات التعلم.

أما علاقة القيم بالوجود والعدم فإن المراجعة التحليلية لتاريخ الأمم والشعوب تقدم شواهد قاطعة بأن كافة الحضارات الإنسانية استندت إلى «منظومة قيم» لتوحيد الإرادة الجماهيرية وتحديد أهداف توافقية لمسيرة جماعية تستنهض إرادة الاجماع لانجاز تلك الأهداف النظرية فمثلا:

١- ما زلنا حتى اليوم وربما لأجيال قادمة نتحدث عن «الحضارة اليونانية» الزاخرة بنماذج أصيلة لفلاسفة ذلك العصر الذين فرضوا حضورا منقطع النظير فلا مجال لتجاوز تلك اللبنات التي أرست دعائم العلوم المختلفة في شتى فروع المعرفة حتى أننا نردد دائما «إن الفلسفة أم العلوم فعنها انبثق « حجر الاساس» لمجمل العلوم النظرية والتطبيقية كما أثرت التجارب السياسية بمصطلح «الديمقراطية الافلاطونية» وليمتد ذلك الأثر إلى الاعراف الاكاديمية باقتباس مصطلح الفلسفة للشهادات الدراسية العليا وخريجيها اطلاق الأحرف الأولى على شهادة الدكتوراه كما تعنون الدراسات بنفس المسمى فنقول «فلسفة في العلوم.. علم الاجتماع.. العلوم التربوية.. إلخ» وهكذا ازدهرت الحياة في اليونان.

وعندما تلاشى هذا الزخم الحضاري واختفى ذلك الألق والتألق الإنساني أخذت شجرة الابداع الفكري تفقد جذورها العريقة فتعرضت للضمور فهرول الجيل المتأخر إلى ابتداع جدليات عقيمة تستنفد الجهد والوقت في حوارات فلسفية لا طائل منها.

٢- لقد اعتمدت الحضارة الرومانية على التنشئة الصارمة لأجيال فتية فكانت شوارع «اسبارطة» عبارة عن ساحات مفتوحة لتعلم «فنون القتال» حتى صارت الفتوة والقوة رمزا للمثل الأعلى للرجولة وذلك إيمانا بحقيقة أن لا تنمية ولا بناء حضاري دون امتلاك مصادر الدفاع للذود عنها:

فإذا بهذه الجاذبية الموضوعية تصاب بالشيخوخة أمام مظاهر استعراض القوة الغاشمة التي تلوح معالمها كلما استحضرنا مآسي «حلبات اسبارطة» حيث يلقي بالفرسان خلف قضبان حديدية لمصارعة وحوش كاسرة وبحضور جموع غفيرة وفي طليعتها رجالات الدولة ويصطف هذا الحشد بالمدرجات لمتابعة معركة غير متكافئة لمجرد التسلية وتبلغ المأساة ذروتها بتفشي الدسائس السياسية لتصفية خصومات افتراضية وكل من يراوده الطموح لتسلق الدرجات الوظيفية الأعلى عليه إزاحة من يشغلها من الأمراء والقادة وبهذا الاحلال والابدال الذي يتيح لضعاف النفوس وضعفاء الشخصية تولي المناصب القيادية دون جدارة ضف إلى ذلك الانتقال من فلسفة القوة الدفاعية إلى خوض مغامرات عسكرية خارجية كلما اتسع نطاقها اتسعت رقعة العداوات لمقاومة الغزو الاجنبي في الدول التي تتعرض للاستعمار لينتهي المطاف بالصراع بين القوتين الاعظم الفرس والروم التي انهارت نتيجة الغلو في «تقديس القوة وعبادة السوبر مان».

٣- استطاعت دولة الخلافة الاسلامية الرشيدة أو الراشدة أن تنشر الدعوة في كل الاتجاهات واستندت في ذلك إلى منطق التسامح والتعايش وإشاعة نمذجة أخلاقية اكسبتها تقبل أولئك البسطاء من الناس الذين ضاقوا ذرعا بتلك الانظمة المستبدة فكان إسقاط الطغاة عنوانا للفتوحات الاسلامية.

وما أن أخذ هذا النموذج يؤتي أكله وتنضج ثماره هناك في عاصمة الرشيد التي شهدت عصرا ذهبيا احتفى بالعلم والعلماء وانفتح على التجارب الإنسانية فازدهرت الترجمة التي اضافت إليها العقيدة الإسلامية طابعها الروحي حتى بدأ العد التنازلي بتقويض أزهى تلك المعالم الحضارية فتوالت الحرب الطاحنة بين امراء الطوائف في الاندلس فيما يشبه تصفيات الكأس في الالعاب الأولمبية فالمهزوم يرفع الراية البيضاء بعد إنهاك قواه، ليدخل المباراة أمام المنتصر أولئك الذين ينتظرون الدور وما ان استتب الأمر لآخر ملوك الاندلس من آل الاحمر حتى داهمه الاسبان فلم يجد بدا عن الرحيل لينجو بنفسه وبالبقية الباقية من أسرته ومنهم والدته التي اختزلت تلك النهاية المريرة بقولها:

إبك مثل النساء مُلكاً عظيماً
لم تحافظ عليه مثل الرجال

٤- بالانتقال إلى العصر الحديث نقف عند آخر وأهم الغزوات الاستعمارية التي تنافست فيها القوى الغربية لاحتلال قارتي العالم القديم آسيا، افريقيا ولو أمعنا في التسمية لأدركنا ابعادها السياسية لتطمين الشعوب بالايحاء بأن الهدف ليس بسط النفوذ وانما إعمار وتعمير الارض وتحديث وتطوير أساليب الحياة كالفاظ مرادفة أو مشتقة عن مصطلح استعمار وفعلا مهدت الطرق واقامت البنية الاساسية في بداية عهدها كما وفرت فرص عمل لوظائف خدمية أو أنشطة مساعدة وحاولت كسب اصحاب النفوذ بعقد صفقات معهم فوقعت اتفاقات حماية مقابل رواتب شهرية...الخ تماما مثلما حدث في عدن والمحميات.

الا أن الركون إلى مظاهر الاستقرار أغرى المستعمرين للتعامل مع أصحاب الارض وكأنهم مواطنون من درجة ثانية وثالثة فعمدت إلى جلب أجانب من مناطق نفوذها الأخرى الأمر الذي استفز الجماهير ليتضاعف هذا الشعور الوطني بانطلاق حركات التحرر وتوالي المد القومي العربي الاسلامي الذي شكلت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م حاضنة له حتى ان الجنود البريطانيين اضطروا لمسايرة الوعي الجماهيري العارم فكانوا يوزعون على الاطفال حلويات مع رفع شارة النصر والهتاف (ناصر تمام) لتجنب قذفهم بالحجارة.

فماذا عن واقع الحال للامس القريب وأين موقع ثوابت الاجماع من الاعراب في البلاد العربية؟ ولماذا شهدت الانظمة الجمهورية بالذات انهيارات متوالية؟؟ اسئلة تدور حول محور وحيد أوحد وتستند الاجابة عليه إلى نفس علاقة القيم بالوجود والعدم، ويكفي ان نلقي نظرة تحليلية للخارطة السياسية التي ينقسم فيها الوطن العربي إلى كتلتين إحداهما اختارت النظام الجمهوري بينما الاخرى احتفظت بخيارات ملكية وشبه ملكية..

وامعان النظر في هذين الخيارين يؤكد انه بقدر احترام القيم التوفيقية تتماسك الجبهات الداخلية للشعوب فمثلا:

١- نلاحظ أن الجمهوريات تركزت في الاقطار التي لها تجارب عريقة في ادارة الدولة فقد شهدت العراق حضارة وادي الرافدين كما عرفت أقدم الدساتير بـ(قوانين حمورابي) وشهدت بلاد الشام حضارة الغساسنة والمناذرة كما تواصلت مع الحضارة الرومانية وارتبطت مصر بالحضارات الفرعونية.

كما استفادت من الحملات الاستعمارية المتوالية واقتبست عنها الكثير من الانظمة المدنية، ويسري ذلك العمق التاريخي على اليمن التي ظلت مهدا للعروبة وموطنا للانصار ورافدا للهجرات إلى الخارج كمدخل للتواصل بالعالم من حولنا وقبل هذا وبعده فقد ارتبط تاريخها باقدم الحضارات الانسانية وقدمت تلك الحقبة السبئية والمعينية والحميرية ثم الصليحية أرقى التجارب الابداعية- عمرانا وبناء لسدود وإقامة مدرجات جبلية وخزانات للاحتفاظ بمياه الامطار...الخ وكلها انجازات نوعية تجسد عبقرية المكان والانسان وكيف طوع اليمانيون الصحراء فصارت جنات خضراء واستصلحوا الجبال لتكتسب مناظرها الخلابة شهرة عالية فتضاف إلى الانتاج الزراعي عائدات سياحية، ثم كيف تفتقت تلك العبقرية عن نظام تنقية وفلترة المياه عبر متوالية أحواض ترسيب الشوائب لتوفر المياه الصالحة للشرب في عمق البحر ليكونوا بذلك قد قدموا إضافة مبتكرة لصهر الطبيعة فلم تعد المياه المالحة عامل طرد سكاني وتتكرر سمات التوحد الابداعي في حضرموت حيث تجلت البوادر الهندسية ببناء سواقي مفتوحة في المصدر وتضيق كلما انحدرت لتصل إلى شبه زاوية حادة فيؤدي تدفق المياه داخل هذه القنوات الضاغطة إلى ارتفاع التيار إلى مناطق أكثر ارتفاعا من المصدر نفسه وانجاز كهذا يستحق براءة اختراع لتحدية القوانين العملية الرائدة حيث تشدد على التوازي بين ارتفاع المساكن ومصادر تغذيتها بالمياه.

ولا بأس من استعراض شواهد ضاربة بجذورها في أعماق تلك الخصوصيات التي يجهلها أو يتجاهلها أولئك الحكام فحاولوا الالتفاف على منطق الأشياء لإفراغ القيم من مضامينها الفعلية وحسبنا الإشارة إلى عميد الرؤساء العرب الزعيم معمر القذافي الذي صدع رؤوسنا بالحديث عن النظرية الثالثة والمؤتمرات الشعبية كنظام فريد لحكم الشعب نفسه بنفسه وأن نظاما كهذا جدير بأن تحشد له كل العناوين الدالة على تجربة فذة لـ"الجماهيرية العربية الاشتراكية الشعبية العظمى" فإذا في لحظة انفعال يميط اللثام عن عقلية الشمولية فيعلن على الملأ أنه ملك ملوك أفريقيا أي شاه شاه تلك القارة السمراء والتي اضطرها العوز والفاقة لمجاراة طموحات الزعامة تلك مقابل تبديد ثروات الشعب الليبي على أوهام سرابية انفضت عن أشباح عديمة لم تصدر عنه الهبة الشعبية العارمة وهي صورة طبق الأصل للمفارقات التي اعتمدها أصحاب الفخامة عموما.

٢- الأنظمة التقليدية

وقد سبق الإشارة إلى العلاقة التوافقية بين خيارات تأسيس كل منها والتقبل الشعبي لهذا الخيار دون إغفال الفروق النسبية وبالعودة إلى خارطة التقسيم المفترضة نجد أن كافة هذه الدول حديثة العهد ولا نبالغ إن اعتبرنا كلا منها مشروع دولة ارتبطت بالمؤسس فتاريخيا لم تكن هناك دولة في شبه الجزيرة العربية وحتى دولة المدينة على عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لم تقم على حدود جغرافية معينة وإن ظلت مركز إشعاع ديني تمتد آفاق الروحانية في الرحاب الجغرافية الفسيحة تمثل الأراضي المقدسة في مكة والمدينة المنورة ومهوى الأفئدة ومهبط الوحي وذكرى صاحب الرسالة مصدر إلهام للأجيال المؤمنة المشدودة إلى أنوار الهداية اللاحدودية.

بينما المملكة العربية السعودية تكاملت فيها مواصفات الدولة نظاما وشعبا وأعرافا دستورية ومرجعية مذهبية ومصادر ثروة .. إلخ. وطالما يجيبك المواطن المولود في الرياض أو سواها بأنه سعودي فتلك دلالة برهانية على الثقة التوافقية المتبادلة بين الحاكم والمحكوم والأمر كذلك بالنسبة لـ"دولة الكويت" التي أسستها أسرة آل الصباح من العدم، وقس على ذلك قطر والإمارات والبحرين والأردن والمغرب .. إلخ مع التذكير بما سبق الإشارة إليه من حيث تأثير العوامل التاريخية والثقافية فالمملكة الأردنية الهاشمية ارتبطت بالأسرة الهاشمية إلا أن التواصل الثقافي بالمملكة المتحدة أضفى عليها سمات التقارب بينهما وكذا الحال في المملكة المغربية التي تمتلك روافد تاريخية لدولة الموحدين وزوايا التصوف التي يعود لها الفصل بصد جحافل الأسبان الذين أغراهم سقوط الأندلس لمحاولة التوسع.

لتبقى المؤشرات الفارقة على هامش التماثل الكلي خاضعة لمدى التوافق فإن لاحت بوادر اختلال تلك المؤشرات التقريبية فهذا يضع علاقة استفهام ما لم يلتقطها الحكام قد تتفاقم فهناك عالم متحرك وهناك تنوع مذهبي ومع أن التنوع يثري الواقع إلا أنه يتهدد تلك الأوضاع التي لا تراعي الخصوصيات الفئوية كشروط للتأقلم والتعايش بين الفئات الاجتماعية التي قد يدفعها الاختلاف إلى الخلاف ما لم يجد كل منها متنفسا لإثبات هويته الفاعلة في النسيج الاجتماعي المتكامل.

أخيرا فإن مشروعية التنوع بين الجماعات التي تنتمي لمجتمع واحد تعزز الانفتاح الإيجابي العابر للحدود الجغرافية بين الدول بعيدا عن هواجس سوء الظن بالآخر فلنعترف بأن لكل تجربة خصوصياتها وأن خيارات شعب لا تعني تصدرها للخارج أو حتمية قبولها لدى شعب آخر كما أن الأسماء والمسميات قد لا تدل بالضرورة على ثقة مطلقة بأفضلية نمط سياسي معين وإلا لما أجمع العالم بأن المملكة المتحدة عنوان بارز لأروع الأنظمة السياسية وأن اعتدال كفي الميزان على طرف النقيض قد رفدها بإرادة عقلانية لإدارة الدولة من حيث القدرة على التجديد والتجدد من داخل النظام دون المساس بجوهره والاحتفاظ بتقاليده العريقة.

فلنتقارب ونتعايش ولنتكاتف وتتكاتف وتتضافر جهودنا الإنتاجية ولنحسن الجوار ونترجم قيمنا الروحية بالتكامل والتعاون فلدينا رصيد مادي ومعنوي لا يضاهي.

نقاط

حرااام جامعي

معين النجري

هل يجب أن نكون حزينين جداً على الأوضاع التي تعيشها جامعة صنعاء هذه الأيام؟ وهل يجب أن تظل الجامعة استثناء؟

ندرك جيداً أن البلد تعيش انتكاسة حقيقية في كل شيئاً ، انتكاسة سياسية واقتصادية وأخلاقية وثقافية، وحتى انتكاسة إنسانية، رجال السياسة في البلد لم يتركوا شيئاً إلا لوثوه بعفنهم.

أعضاء هيئة التدريس بجامعة صنعاء اثبتوا أنهم ليسوا طبقة راقية ولا هم يحزنون. أنهم جزء من هذا المكون المتآكل ، لم يقدموا شيئاً واحداً يثبت أنهم أكثر رقيا من البلاطجة والغوغاء.

لم يحاولوا ولو لمرة واحدة أن يقدموا نموذجاً جيداً يستحق التفاتة، ما يجيدونه فقط هو التحول بسرعة البرق من أكاديميين إلى قطعان مكرفتة بأيدي زعماء الطوائف من عسكر وساسة ... كائنات تحج إلى مقرات الأحزاب والجماعات و المعسكرات لتتلقى الأوامر ومن ثم تذهب في حينها إلى حرم الجامعة لتنفذ بالحرف.

منذ أن عرفت جامعة صنعاء طالباً عام ١٩٩٧م إلى الآن لم أشهد لهم موقفاً واحداً يستوجب الاحترام، أنشطتهم وتحركاتهم دائما إما لتحقيق مكاسب شخصية أنانية نرجسية بحتة أو لخدمة جهات خارج أسوار الجامعة .

أتحداهم أن يذكروا موقفاً واحداً قاموا به انتصاراً للجامعة أو لتطوير العملية التعليمية أو حفاظاً على ممتلكات الجامعة وتحديث إمكانياتها .

بل لو استطاع أحدهم أن يبيع القاعة التي يلقي فيها محاضرته لأقرب نخاس لفعل دون تردد .

لذلك لا يجب أن نحزن كثيراً لما أصبحت عليه جامعة صنعاء فقد تتحول إلى معسكر أو الى مسجد أو إلى مرقص أو إلى خرائب أو تقبيل.

لا شيء مستبعد أبداً مادام أبطالها مجرد أدوات بأيدي من يدفع أكثر.

الأكاديميون فيها مجرد بضاعة قابلة للبيع في مزادات السياسيين والعسكر والقبائل وربما مشايخ الدين وزعماء العصابات والجماعات الدينية.

إلى لجنتي الحوار والعسكرية

نجيب محمد الزبيدي

.. بات من الواضح والمعلوم وحسب ما جاء في خطاب فخامة الأخ الرئيس عبدربه منصور هادي – رئيس الجمهورية الذي ألقاه في الجمعية العمومية بالأمم المتحدة ،أقول وبكل وضوح أنه من خلال فقرات الخطاب الهام قد فصل وأجمل وحدد وبين وعلى الأذكياء فقط بداخل الوطن التقاط أهم ما قيل وحمله ذلك الخطاب، أما الطرف الآخر والذين أراهم لا يفقهون كثيرا ربما لأن الحواس قد فقدت أداء المهام، أي خلل أوعطب أصابها يا سادة يا كرام افتونا ولكم جزيل الأجر وكامل الثواب؟ اما دول الخليج والدول الخمس الأعضاء بمجلس الأمن (أمريكا وروسيا والصين وفرنسا وبريطانيا) الكل فاهم .

تلك نقطة أولى زال عنها غموض الالتباس ولا عذر البتة لكل جاهل لا يحرك حاجبيه يمينا مرة وأخرى إلى جهة الشمال، ومما زاد الطين بلة أن عقله هو الآخر قد ضرب الفيوز ولم يعد يفهم أو يدرك أين كانت تسكن سبأ أو ارم ذات العماد ادعوا معي وبصدق أن يمن ربنا بالشفاء لكل فاقدي العقول أصحاب القلوب القاسية من ذوي الأهواء والاطماع مساكين يغردون بعيدا، همهم اشباع الغرائز وما تهواه أنفسهم المريضة المتعلقة بحب الدنيا وزينتها ولا عجب أيها الأحبة، فالقرآن الكريم سطر الحقيقة وأوضح حقيقة هؤلاء الأشخاص (افرأيت من اتخذ إلهه هواه فأضله الله على علم).

عدنا والعود أحمد، قلنا ونكرر والجرس سيقرع الآن فانتبهوا للذين يبحثون عن السعادة، تريدون الخير والفلاح والنجاة فالزموا النصيحة، طبقوها في حياتكم وسأراهن ضامنا بنجاح التجربة لكن بشرط الالتزام الكامل ببنود الكلام الذي أرسل إشارته وجاء إلينا متلفزا وعلى الهواء مباشرة – أقصد خطاب المشير الركن عبدربه منصور هادي – رئيس الجمهورية وإليكم أبرز ما قيل وجاء وحمله ذلك الخطاب المفتوح:

التكاتف ، التعاون ، العمل بروح الفريق الواحد والمغالط يتحمل ويصبر على العقاب والجزاء جراء فعلته هذا ليس يمنياً ولا آدمياً .

على أحبائنا إخواننا فريقي »اللجنة العسكرية ولجنة الحوار الوطني« أن يشدوا الأحزمة ويفردوا الأجنحة ويحددوا مسار التحليق وهم أحرار اما أن يكونوا عند مستوى الحدث والعمل والمسؤولية فالرجال معادن، أثبتوا للشعب بأكمله بأنكم خير معدن من النوع الأصلي ويا جماعة الوطن أهم وشعبه أحسن لكم وأبرك ، اتركوا فقط المهاترات وتصيد الأخطاء وابردوا وانسوا القيل والقال وسووا الأعلام هذا أكبر اذوة مزعج ماخلى لنا حالنا بعدنا بعدنا ما يشتي منا.

ياجماعة الخير هدأوا الأمور والصلح خير، ما بش حاجة مادام والنيات صح والقلوب صافية والأعمال تجري على قدم وساق والمهمات تسير وفق الآلية المعدة والمبرمجة وحدد لها الوقت المناسب باليوم والساعة بالشهر والسنة، أنتم أخبر، قلدكم الله ، فقط أريحوا الناس وكونوا صادقين مع أنفسكم متعاونين فاهمين لتلك التوجيهات والأوامر الصادرة من رئيس الجمهورية واسمعوها منا .من عمل صح نام والقلب مرتاح.

فيسبوكيات

أول المشوار

من حقنا كمواطنين أن نطالب بإخراج معسكرات الجيش من المدن ، ومن واجب السلطة أن تنفذ ذلك باتخاذ اللازم من إخراج ونقل معسكرات وسحب السلاح من الجماعات المسلحة ومنع حمل السلاح في المدن، اعرف أن القضية لن تتم في يوم وليلة ولكن بداية المشوار خطوة، فلتبادروا بها .

إبراهيم قاسم

صورة لائقة

عندما يتطلب أن تحيا بشجاعتك فليكن
أنت لا تملك خيارا أحيانا غير اقتفاء أثر أبطال الأساطير على ما في الأمر من تقمص لا واقعي، لكنك تضمحل احيانا ما لم تتشجع ،على أن الشجاعة هي خيار المضطر حتى لاستثارة مجانين صنعاء المسلحين .
«لا تتحرش مجنون مسلح» هذه نصيحة ذكية حقا في حال كان المجنون يمشي في العراء حالة من الهذيان والاستلاب، أما أن يكون هذا المجنون يتجول في بيتك ويتحكم بطعامك وينهب قمحك فهذا ما يجعلك حقا إزاء الخيار الأخير وأنت تجازف بوجودك الجسماني لتحيا ولو على الأقل كصورة لائقة تعلق على جدران العائلة وفي ذاكرتها .

محمود ياسين